الفصل الثانى

أودا نوبوناجا بطل التوحيد

١ - إرهاصات التوحيد:

فيما بين عامى ١٤٦٧م و١٤٧٧م حدثت ثورة أونين Ōnin Noran بسبب النزاع الذى حدث فى أسرة الشوجون الثامن فى عصر موروماتشى أشيكاجا يوشى ماسا Ashikaga Yoshimasa (١٤٣٦م -١٤٩٠م) فيمن يخلفه على عرش الشوجونية، وبعد انتهاء هذه الثورة استمرت الحروب الأهلية بين مختلف المقاطعات وبعضها البعض لما يقرب من مائة عام، وكان من أهم نتائج هذه الحروب الطويلة هذا الحراك السياسى الذى جعل الأتباع يسقطون أسيادهم وبزوغ طبقة حكام الأقاليم (البلاد) Sengoku Daimyō المتحاربين على حساب طبقة حكام الأقاليم Shugo Daimyō أو ما عرف فى التاريخ اليابانى بظاهرة Gekokujō أى ارتفاع التابع وسقوط السيد.

وبعد مرور حوالى مائة عام من هوجة أونين وما تبعها من صراع أو حروب خفت حدة هذه الصراعات إلا من مناطق محددة وقليلة تصارعت فيما بينها من أجل الحصول على شرف تحقيق توحيد البلاد. وكان فى خلفية تحقيق هدف التوحيد عدة عناصر جعلت الدايميوات الأقوياء يخططون بجدية من أجل هذا الهدف العظيم. ومن أهم هذه الأسباب:

أولاً: استيلاء الدايميو على مقاليد السلطة فى مقاطعته دون منازع

له ، وبالطبع جعلته هذه السلطة يتطلع لما هو أكبر من مقاطعته ألا وهو التحكم فى عملية توحيد البلاد.

ثانيا: كان للتطور الاقتصادى وعلى الأخص الاقتصاد السلعى أثره فى نمو موارد الدايميو فكان ذلك بمثابة عامل مساعد لا يمكن إغفاله من أجل تحقيق وحدة البلاد.

ثالثا: كان للعامل الخارجى أيضا أثره الكبير وتمثل هذا فى قدوم الأوربيين ومعهم لأول مرة فى تاريخ اليابان بنادقهم التى كانت لها الكلمة العليا والأخيرة فى انتصار المعسكر الذى استعملها على المعسكر الذى ظل يحارب بالوسائل والأسلحة القديمة ، وهذا ما سوف نتعرف إليه فيما بعد عند الحديث عن موقعة ناجاشينو Nagashino التى حدثت فى عام ١٥٧٥م وبصرف النظر عن تحقيق هدف الوحدة من عدمه ، فقد تنافس الدايميوات من أجل الحصول على رضا البلاط الإمبراطورى وشوجونيه الحكومة العسكرية موروماتشى ، على الرغم من ضعف الاثنين إلى جانب تأزم وضع النبلاء المالى. ولكن الدايميوات المتحاربين وضعوا صوب أعينهم هدفين :

الأول هو الحصول على شرعية ما يقومون به من حروب من السلطة التقليدية المتمثلة فى البلاط والشوجون .

وثانيا المقاطعات الخمس الغنية التى يسيطر عليها البلاط وشوجونيه مورماتشى وهى ياماطو وياماشيرو وكاواتشى وإيزومى وستسو.

ولذلك ذهب المتحاربون مثل تاكيدا شينجن وأوى سوجى كنشين وأودا نوبوناجا إلى كيوطو حاملين الهدايا للإمبراطور والشوجون على الرغم من انشغالهم فى حروبهم.

مما سبق نستطيع أن ندرك أن عملية التوحيد كان قد بدأها عدد من الدايميوات المتحاربين ولم يبدأها أودا نوبوناجا وهو من مقاطعة أوارى (محافظة أيتشى) ولكن يرجع الفضل لثلاثة محاربين عظام من مقاطعات مختلفه هم إيماجاوا يوشى موطو (١٥١٩م – ١٥٦٠م) من مقاطعة سوروجا (محافظة شيزوأوكا) وتكيدا شينجن (١٥٢١م – ١٥٧٣م) من مقاطعة كاى (محافظة ياماناشى) (١٥٢١م – ١٥٧٣م) والمحارب أوى سوجى كنشين (١٥٣٠م – ١٥٧٨م) من مقاطعة إيتشيجو Echigo (معظمها الآن فى محافظة نيجاتا) وهى مقاطعات تقع قريبة نسبيا من مناطق أو مقاطعات الإمبراطور والشوجون الخامس وهى أيضا مقاطعات غنية وذات نفوذ وسطوة.

ولكن على أية حال فإن الذى نجح فى تحقيق أو بالأحرى إعادة تحقيق معظم الوحدة اليابانية هو المحارب العظيم والعنيد أودا نوبوناجا. ولكن كيف استطاع ذلك وما هى المقاطعات والمحاربين الذين واجههم ؟ هذا ما سوف نتعرف إليه فيما يلى من سطور.

٢ - موقعة أوكى هازاما Okehazama ونوبوناجا

وسط هذه الأجواء من الحروب والصراعات نشأ أودا نوبوناجا والذى ولد فى عام ١٥٣٤م وعرف عن نوبوناجا أنه كان شابا عنيفا متمردا، يروى عنه أنه فى جنازة والده قام بأفعال غريبة مثل ارتدائه ملابس غير لائقة بهذه المناسبة وغيرها من الأفعال الشنيعة ويبدو أنه كان لا يروق لوالده حتى إنه شاع أن أخيه الأصغر نوبو يوكى Nobu yuki هو من سيخلف أباهما نوبو هيدى Nobu hide.

وقـد ورث نوبوناجا عن والده صلابـة الرأى وقوة العزيمة، فقد كان نوبو هيدى من غير الفرع الأصلى لعشيرة أودا، ولكن لامتلاكه السطوة فقد استطاع الاندماج فى صلب هذه العشيرة، بل وأن ينشر نفوذه فى مقاطعة أوارى Owari (محافظة أيتشـى Aichi ken)، على أية حال استطاع نوبوناجا خلافة والده نوبو هيدى الذى توفى فى عام ١٥٥١م فى زعامة عائلة أودا، ولكن معظم أفراد العشـيرة لم يمتثلوا لأمره، فقام نوبوناجا بمحاربة كل من عارضوه وهزمهم الواحد تلو الآخر. وكان أهم من هزمهم حاكم المقاطعة الذى كان يتحصن بقلعة كيوسـو Kiyosu، واستولى على هذه القلعة الحصينة، ثم لم يلبث أن حارب أخيه الأصغر نوبو يوكى فى عام ١٥٥٦م، واسـتولى على قلعة سـوى مورى جو Sue mori jo التى كان يقبع فيها نوبو يوكى وبذلك استطاع نوبوناجا توحيد مقاطعة أوارى ووضعها كلها تحت سيطرته.

ولكـن وبرغم كل تلك الحروب والمواقـع التى خاضها أودا نوبوناجا فإنـه لم يعرف كمحـارب عنيد وقوى فى كل أنحـاء اليابان إلا عندما وقعـت موقعة أوكيهازاما Okehazama التـى حدثت فى عام ١٥٦٠م وهو مكان يقع فى مقاطعة أوارى ذاتها.

فقـد حدث أن المحـارب إيماجاوا يوشـيموطو قدم مـن مقاطعته سـوروجا (محافظة شـيزو أوكا الآن) قاصدًا العاصمـة كيوطو وهو يقود جيشا كبيرا، وكان لابد له من عبور مقاطعة أوارى فى طريقه إلى كيوطو. ولكنـه وقـع فى خطـأ كبير وهو عـدم إدراك مقاومـة نوبوناجا له ولم يحسـب لذلك حسـابا . ولكن نوبوناجا الذى كان يقود عددا قليلا من الجنود استغل الرياح الشديدة والمطر الغزير الذى هطل فى وقت تعسكر

قوات إيماجاوا فى منطقة أوكيهازاما، وقام بهجوم مباغت على معسكر أيماجاو يوشيموطو وهزمه شر هزيمة، وكان نوبوناجا آنذاك فى السابعة والعشرين من عمره.

كانت موقعة أوكيهازاما نقطعة تحول فى حياة نوبوناجا العسكرية جعلته يوجه نظره بجدية نحو كيوطو بدلا من يوشيموطو. وكانت الخطة الهامة التالية هى تحالفه مع المحارب ماتسودايرا موطوياسو Matsudaira Motoyasu (طوكوجاوا إيياسو فيما بعد) والذى كان من أتباع عشيرة إيماجاوا، وجعله يستقل عن إيماجاوا. ثم ساعده نوبوناجا فى تقوية دفاعات مقاطعته القديمة ميكاوا (شرقى محافظة أيتشى الآن). وجعله بذلك يحمى ظهره من أعداء المقاطعات الشرقية.

وبعد أن اطمئن نوبوناجا لتأمينه النواحى الشرقية التفت إلى الجار الشمالى وهو سايطو من مقاطعة مينو (محافظة جيفو Gifu) فهزمه وبذلك وضع سهول كل من أوارى ومينو تحت سيطرته فى عام ١٥٦٧م وبعد ذلك استولى على قلعة جيفو.

ومنذ تلك اللحظة أصبح نوبوناجا يستخدم علما أو شارة Tenkafubu تدل على نيته وعزمه على توحيد البلاد، وذلك عبر نشر قواته العسكرية فى كل البلاد وإخضاع كل الدايميوات تحت إمرته.

وفى عام ١٥٦٨م اصطحب نوبوناجا الأخ الأصغر للشوجون الثالث عشر أشيكاجا يوشى ترو Ashikaga Yoshiteru (١٥٣٦م – ١٥٦٥م) والذى قتل على يد أحد أعدائه – وهو يوشى آكى Yoshiaki (١٥٣٧م – ١٥٩٧م) والذى كان يعتمد على نفوذ نوبوناجا خلال رحلة ترحاله أثناء طرده من كيوطو – إلى كيوطو ونصبه فى منصب الشوجون ليصبح الشوجون

الخامس عشـر والأخير فى عصر موروماتشـى وكانت هذه الخطوة هامة جدًا فى سبيل تحقيق عملية توحيد البلاد.

وقد حاول كل من المحاربين القويين تاكيدا شينجن وأوى سوجى كنشين القضـاء علـى نوبوناجا، ولكن لحسـن حظ نوبوناجـا أن كلاهما توفى مريضـا، الأول توفى فـى عام ١٥٧٣م والثانى توفـى فى عام ١٥٧٨م. وبذلك تخلص نوبوناجا من أكثر أعدائه قوة.

وعندما وضح للشوجون أشيكاجا يوشى أكى مدى تحكم نوبوناجا فى مقاليد الأمور حاول إغراءه بتوليه منصبًا حكوميًا هامًا فى حكومة الباكفو أو تعيينه فى منصب نائب الشـوجون، إلا أن نوبوناجا رفض وفضل أن يضع مسافة بينه وبين حكومة الباكفو.

وبالنسبة للبلاط الإمبراطورى فقد عمل نوبوناجا على إصلاح دهاليزه والدعـوة لاحـترام الإمبراطور، ومـن ناحية أخـرى أتم عملية تنصيب شكلية للأمير سـانيهيتو Sanehito Shinnō فى منصب الابن الوريث للإمبراطـور حتى يسـتطيع خلافة الإمبراطور، وهكـذا وضع نوبوناجا السلطة التقليدية المتمثلة فى البلاط الإمبراطورى فى قبضة يده.

ولكن إذا اسـتتب الأمر لنوبوناجا بدخوله كيوطو وتوليته يوشى أكى كآخر شـوجون فى عصر موروماتشـى، إلا أن الموقف كان خارج كيوطو بعيدا عن قبضة نوبوناجا الذى كان عليه أن يقوم بمعارك حربية عديدة من أجل الاستمرار فى عملية التوحيد وذلك بهزيمة أعدائه خارج كيوطو.

وفـى خارج كيوطـو أيضا دارت رحى الحرب بين عشـائر عديدة، فقد دارت حرب حامية الوطيس بين عشيرة ماتسوناجا وعشيرة ميوشى وذلـك فى عام ١٥٦٧م وبسـبب هذه الحرب فقد اشـتعلت النيران فى القاعـة التى يوجد بها تمثال بوذا الكبير، هذه القاعة موجودة فى معبد

طودايجى Tōdaiji وهو من أقدم وأشهر المعابد البوذية فى اليابان. وبسبب هذه الحادثة سقطت رأس التمثال محترقة. وكانت هذه هى المرة الثانية التى يحترق فيها هذا المعبد الشهير منذ إنشائه فى عام ٧٥١م، وكانت المرة الأولى فى عام ١١٨٠م إبان حرب عشيرتى الهيكى والجنجى، والتى قُهرت فيها العشيرة الأولى وتغير وجه التاريخ اليابانى بسبب هذه الحرب.

ويعتقد اليابانيون أن سقوط رأس تمثال بوذا يؤذن بفاجعة كبيرة أو تغيير كبير يحدث فى مجرى الأحداث على مسرح التاريخ اليابانى. وذلك الاعتقاد يرجع إلى أن تمثال بوذا الكبير يحافظ على استقرار البلاد فإذا سقط فإن هذا يكون نذير شؤم للبلاد. أو أن تغييرًا كبيرًا فى السياسة سوف يحدث، وهذا ما حدث بالفعل فى تلك الآونة.

٣ - علاقة نوبوناجا وآخر شوجون فى عصر موروماتشى [1]

بعد مقتل الشوجون الثالث عشر أشيكاجا يوشى ترو، تولى من بعده منصب الشوجونية أشيكاجا يوشى هيدى Yoshi hide (١٥٣٨م - ١٥٦٨م) لفترة أقل من عام، ولكن بقدوم نوبوناجا إلى كيوطو مصطحبًا معه يوشى أكى ثم طرد الشوجون الرابع عشر يوشى هيدى من كيوطو ولم يلبث أن توفى مريضًا فى نفس العام.

وبالتالى تولى من بعد يوشى أكى الذى استحوذ على تأييد نوبوناجا. وبرغم أن نوبوناجا كان أصغر سنًا من الشوجون يوشى أكى إلا أن الثانى

---

(١) - عصر موروماتشى هو ذلك العصر الذى سبق عهدى أودا نوبوناجا وطويوطومى هيدى يوشى. وقد بدأ منذ عام ١٣٩٢م وانتهى فى عام ١٥٧٣م أى انه استمر لمدة مائة وثمانين عاما.

اعترافًا بالجميل أو تملقا لنوبوناجا كان يحب أن يناديه بلقب الوالد، وهذا بالطبع شيء غير مألوف، فقد كان للشوجون سطوة كبيرة على أى فرد من القواد، ولكنه فى ذات الوقت يدل على قوة شخصية وسطوة نوبوناجا. ولكن ما أن استقر الحال ليوشى أكى كشوجون وبعد مكوثه فى قلعة نيجوجو التى أنشأها نوبوناجا لتكون مقرًا للشوجون فى عام ١٥٦٩م إلا وقد شعر يوشى أكى بالاطمئنان وخيلاء السطوة وأخذ فى تغيير مواقفه.

ولما وجد يوشى أكى أن نوبوناجا مشغولا فى حروبه مع أعدائه فى أماكن كثيرة، فقد دعى كل من عشيرة تاكيدا وأساكورا وموري وكذلك رهبان معبد أنرياكو جى الذين كانوا يكرهون أودا نوبوناجا، لكى يسقطوا جميعا هذا القائد العنيد. وعليه قام نوبوناجا بتوبيخ الشوجون، ثم قام بمحاربة عشيرتى أسى وأساكورا وأحرق جبل هيزان الذى يوجد به معبد إنرياكو جى ورغم ذلك لم يرجع يوشى أكى عن موقفه ولم يعتذر فقام نوبوناجا بطرده من كيوطو فى عام ١٥٧٣م. وبذلك طُرد آخر شوجون فى عصر مورماتشى من كيوطو وينتهى بذلك عصر مورماتشى.

ثم يصبح أودا نوبوناجا بعد طرد يوشى أكى الوزير الأكبر الذى يجمع فى يديه مقاليد الأمور فى البلاد بدلاً من الشوجون.

ومنذ عام ١٥٧٣م وحتى مقتل نوبوناجا فى حادثة معبد هونوجى Honn ōji فى عام ١٥٨٢م على يد تابعه أكيتشى ميتسو هيدى قام نوبوناجا بشن العديد من الحروب ضد أعدائه من أجل تحقيق وحدة البلاد الشاملة والتى لم يسعفه الموت من أجل تحقيقها كما سنرى فيما بعد، وكذلك قام خلال هذه الفترة بالعديد من الأعمال والمشروعات فى كيوطو التى كانت لا تزال حينها عاصمة للبلاد.

فبعد القضاء على يوشى أكى واعتزاله الحياة السياسية تماما قام نوبوناجا بالهجوم على أساكورا يوشى كاجى Askura Yoshi Kage (١٥٣٣م – ١٥٧٣م) فى معقله بأيتشجوتانى Ichi jōtani بمحافظة فوكوى. وقهره تماما وذلك بعد شهرين فقط من القضاء على الشوجون الخامس عشر وإنهاء عصر موروماتشى. تحولت على أثره هذه المنطقة إلى أنقاض ثم بعد ذلك مباشرة قام بقتال أساى ناجاماسا (١٥٤٥م – ١٥٧٣م) وذلك بدعم من طوكو جاوا إيياسو فى منطقة أنيجاوا Anegawa الواقعة بمحافظة شيجا.

ولكن مهما تعددت معارك نوبوناجا وتفاوتت فى أهميتها فلن تبلغ كل تلك المعارك فى قوتها ولا فى أهميتها موقعة ناجاشينو Naga Shinogassen التى وقعت فى عام ١٥٧٥م بين جيش نوبوناجا وحليفه طوكوجاوا إيياسو ضد جيش تاكيدا كاتسو يورى Katsuyori (١٥٤٦م – ١٥٨٢م). وترجع أهمية هذه الموقعة إلى أنها كانت بمثابة نقطة تحول كبيرة بين النظم الحربية القديمة والتى كان يمثلها جيش تاكيدا شينجن وابنه كاتسويورى وبين جيش أودا نوبوناجا، فقد اعتمد الأول على فرق الجيش التى تعتمد على الخيول والأسلحة التقليدية من سيوف وغيرها بينما اعتمد جيش نوبوناجا على الجنود المسلحين بالبنادق والتى حسمت الموقعة لصالحهما بالطبع.

وقد شبهنا هذه الموقعة فى كتابنا «محمد على باشا والإمبراطور ميجى– ما لهما وما عليهما» بموقعة إمبابة التى وقعت بين المماليك وجيش بونابرت الغازى لمصر فى عام ١٧٩٨م وكيف أن الموقعة كانت بمثابة الفارق بين العصور الوسطى والعصر الحديث فى مصر (ص ٣١).

وفى العام التالى (١٥٧٦م) قام نوبوناجا بإنشاء قلعة أزوتشى العملاقة على جبل يشرف على بحيرة بيوا Biwa الجميلة، وقد تكون برجها الرئيسى من سبع طوابق وذلك لأول مرة فى تاريخ القلاع فى اليابان، وقد أصبح هذا البرج مقرًا لنوبوناجا. وقد زُينت حوائط القلعة الداخلية بلوحات لمشاهير الفنانين آنذاك. وقام نوبوناجا بإنشاء معبد كبير خارج القلعة وجعل المواطنين الذين يسكنون أسفل القلعة يصلون به ولكن هذه القلعة التى تسمى بها عصر نوبوناجا احترقت أثناء الفوضى التى عمت المنطقة عندما قُتِل نوبوناجا فى حادثة هونوجى عام ١٥٨٢م، ولكنها على أية حال تركت تأثيرًا كبيرًا فى شكل العمائر التى أنشئت بعد ذلك.

وفيما بعد قام نوبوناجا بإخماد العديد من ثورات الفلاحين وعمل على توسيع نفوذه فى المناطق المحيطة بكيوطو، أما المنطقة الوسطى من اليابان فقد أحكم قبضته عليها عن طريق حليفيه هاشيباهيديوشى Hashiba Hideyoshi (طويوطومى هيديوشى فيما بعد) وأكيتشى ميتسو هيدى (قاتله فيما بعد) كذلك استطاع نوبوناجا أن يفرض العزلة التامة على معبد إيشيياما هونجانجى ورهبانه الذين ثاروا وأتباعهم فى أماكن كثيرة ضده وفى عام ١٥٨٠م استسلم له كبير رهبان هذا المعبد ويدعى كنينيو Kennyo (١٥٤٣م – ١٥٩٢م) والذى طالما تحالف مع أعداء نوبوناجا الألداء مثل عشيرة تاكيدا وعشيرة موري، ثم قام بطرده خارج معقله فى إيشيياما، وفى عام ١٥٨٠م استطاع أن يقهر عدوه اللدود تاكيدا كاتسويورى فى جبل تنموكو Tenmokuzan مقاطعة كاى (Kai) وبهذا الانتصار أصبح نوبوناجا لا يخشى شيئًا أو عدوًا يمكن وجوده من أجل تحقيق حلمه الأثير فى توحيد اليابان كلها تحت إمرته، ولكن حدث ما لا يتوقعه نوبوناجا من خيانة تابعه أكيتشى ميتسو هيدى

Akechi Mitsuhide (١٥٢٨م – ١٥٨٢م). ففى الثانى من يونيو ١٥٨٢م هاجم أكيتشى بقواته معبد هونوجى بكيوطو حيث كان يمكث سيده نوبوناجا وطعنه برمح مستغلاً انشغال معظم قوات نوبوناجا فى حروبه ضد أعدائه حول كيوطو من أجل تحقيق وحدة البلاد، ولم يكن ميتسو هيدى فى بداية الأمر قاصدًا معبد هونوجى ولكنه خرج بقواته فى الأول من يونيو لقتال عشيرة مورى المتحصنين بقلعة كامييامَاجو Kameyamajō، وذلك بأمر من سيده أودا نوبوناجا وذلك أيضا من أجل تحقيق وحدة البلاد، ولكنه غير وجهته حيث كان يمكث سيده.

أصيب نوبوناجا برمح ولكنه لم يقتل، فما كان منه إلا أن انتحر على طريقة الهاراكيرى (طعن المنتحر نفسه بخنجر) ثم أمر تابع صغير مخلص له يدعى رانمون أن يوقد نارا، وأحرق نفسه واحترق معه معبد هونوجى، وذلك حتى لا يعطى لعدوه وخائنه ميتسو هيدى شرف قتله. وهكذا كانت نهاية نوبوناجا المأساوية ولم يبلغ من عمره الخمسين (٤٩ سنة) وانتهى بذلك حلمه فى توحيد البلاد الذى سوف يأتى على يدى تابعه المخلص طويوطومى هيديوشى، وحليفه طوكوجاوا إيياسو فيما بعد ذلك بسنوات قليلة.

ولكن لماذا أقدم ميتسو هيدى على اغتيال سيده القوى نوبوناجا؟

وفى الإجابة عن هذا السؤال يرجح المؤرخون احتمالين :

أولا : لم يكن ميتسو هيدى من أسرة تابعة لعشيرة أودا منذ القدم، ولكنه كان جديدا فى تبعيته لنوبوناجا. فقد ضمه نوبوناجا ليكون من ضمن أتباعه وصعد بينهم واحتل مكانة متميزة عنده بسبب اعتقاد

نوبوناجا فى أهمية قوة المحارب وذكائه بصرف النظر عن تبعية أجداده لعشيرته ؛ فقد كان ميتسو هيدى بالفعل محاربا شجاعا يمتلك من الحنكة العسكرية الكثير وعلى الأخص تقنية إنشاء المعسكرات الحربية وكانت له مهارات أخرى تتعلق بالثقافة اليابانية ، ولكن وربما لهذه الأسباب لم يتحمل ميتسو هيدى إهانة قائده نوبوناجا له أثناء اجتماع حاشد ، فصمم على الانتقام من سيده ، وهذا ما يطلق عليه مقولة القتل بالكراهية.

ثانيًا : ربما شعر ميتسو هيدى بالقلق من صعود منافسه طويوطومى هيديوشى بسبب تعيينه قائدًا عامًا للقوات التى حاربت عشيرة موري وتحقيقه بالفعل لإنجازات عسكرية فى ذلك ، فخشى أن ينتزع غريمه عملية توحيد البلاد ، فولدت بذلك نظرية الطموح ومخالفة سيده فكان ذلك سببا فى إقدامه على اغتيال سيده ، ووجد فى مكوث نوبوناجا دون قوات تحميه الفرصة الذهبية لاغتياله ؛ فكان له ما أراد ، ولكن هدفه من اغتيال سيده لم يتحقق إذ أنه بعد سماع تابع نوبوناجا المخلص طويوطومى هيديوشى نبأ اغتيال سيده قام على الفور بعقد صلح مع عشيرة موري ، ثم غادر قلعة تاكاماتسو فى مقاطعة بيتشو Bicchu (محافظة أوكاياما) قاصدًا مقابلة قاتل سيده لكى يؤدبه. وبالفعل وصل بعد أسبوع واحد إلى يامازاكى على حدود العاصمة كيوطو ، وهناك هُزم ميتسو هيدى شر هزيمة فى أقل من ساعتين ، ثم هرب فى جنح الظلام ولكن سرعان ما عثر عليه الفلاحون وقتلوه ، فكانت نهايته فى نفس الشهر الذى انتهى فيه حلم سيده فى توحيد البلاد.

أما عن إنجازات نوبوناجا المدنية فكانت عديدة مثلها فى ذلك مثل إنجازاته الحربية ، فكما كان لنوبوناجا عقلية عسكرية وتنظيمية

فذة، ولما استطاع قهر العديد من الدايميوات فى حروبه الكثيرة التى خاضعها، فقد استطاع أيضًا أن يحطم النظم السياسية والاقتصادية التقليدية وتحدى نفوذ هذه النظم واستطاع أن يضع نظم حكم جديدة.

فبعد دخول نوبوناجا إلى كيوطو مباشرة طلب من مدينة ساكاى – التى كانت تفخر بأنها تملك أقوى اقتصاد فى اليابان آنذاك وكذلك تفخر بأنها المدينة التى تطبق الحكم الذاتى – اعتمادات مالية حربية (مجهود حربى) ولكن ساكاى رفضت هذا الطلب وقاومته. ولم يمر عام إلا وقد وضع نوبوناجا هذه المدينة التجارية الغنية تحت حكمه المباشر وبالتالى استطاع أن يتحكم فى أكبر اقتصاد فى المنطقة الغربية (كيوطو وما حولها من مناطق).

كذلك عمل بإيجابية على إلغاء الحدود والجمارك بين كل مقاطعة والأخرى، فقد كان معتادا طوال العصور التى سبقت عصر إيدو أو بالأحرى قبل نوبوناجا وجود هذه المناطق الحدودية وبين كل مقاطعة وأخرى وكانت كل مقاطعة تقوم بالتفتيش على المسافرين وكذلك على البضائع التى تمر عبرها وفرض جمارك عليها، كأن كل مقاطعة دولة قائمة بذاتها، وكانت هذه الجمارك تعد بمثابة عوائق تعوق حركة المرور عبر البلاد.

كذلك سمح نوبوناجا بإقامة الأسواق ذات التسهيلات العريضة للتجار الوافدين لمدينة أزوتشى القلعية، ومنع احتكار تاجر بعينه لسلعة معينة (Rakuichi Rakuza)، وصاحب هذا الإجراء إجراءات أخرى تنعش التجارة وتجعلها حرة مثل معاملات مالية جديدة، وكذلك سياسة مدنية جديدة مغايرة عما ذى قبل.

٤ - نوبوناجا وعلاقته بالمسيحية ومبشريها :

مما لا شك فيه أن نوبوناجا كان من أكثر المحاربين فى نهاية عصر موروماتشى استفادة من الغرب وقدومه إلى اليابان ومعه أسلحته المتقدمة آنذاك والمتمثلة فى البندقية والبارود، وقد استعمل نوبوناجا البنادق الغربية بإيجابية شديدة، وعن طريقها أوجد طرق حربية جديدة استطاعت أن تقهر النظم الحربية القديمة كما رأينا فى موقعة ناجاشينو ورحب نوبوناجا أيضا بمظاهر الحضارة الغربية وتمثل ذلك مثلا فى استعماله للقبعة والعباءة الغربية بكل سرور وترحاب وكذلك تقبل بسرور هدايا غربية عديدة مثل ساعة حائط وجرس زين بهما قاعة قلعة أزوتشى الرئيسية، كما استمع للموسيقى الغربية، ويروى عنه أنه استقبل المبشر المسيحى القس ألسندرو فاليجانانى فى كيوطو ودعاه لزيارة قلعته، كذلك جعله يشاهد عرضا كبيرا للخيول اليابانية. بل لقد أهداه ساترا خشبيا رائعا رسمه أشهر فنانى ذلك العصر، ويصور قلعة أزوتشى والمدينة القلعية أسفلها.

إذن فلم يكن غريبا على قائد يرحب بمظاهر الحضارة الغربية ويحتفى بمبشريها المسيحيين أن يقوم بحماية المسيحيين. وفى هذا كان نوبوناجا يضع عينيه على مناطق كيوشو الشمالية حيث نفوذ الدايميوات المسيحيين-الذين تحدثنا عنهم آنفا – واهتمامه لكسب ودهم وذلك ليكونوا عونا له من أجل إخضاع عشيرتى مورى وشيماظو.

ومن ناحية أخرى فقد مارس نوبوناجا سياسة دينية خاصة بالبوذية تعتمد على القمع والضغط على طائفتى الجودوشو Jōdoshu والنيتشيرن شو Nichirenshu وهما من أكبر الطوائف البوذية

وأشـــهرها فى اليابان، وخاصة الثانية التى حازت على مشـــاعر وحب جماهـــير مدينة كيوطو آنذاك وتجذرت قواعدهـــا وتعاليمها بينهم، وقد لجـــأ نوبوناجـــا لحيلة ماكرة لكى يمارس الضغط علـــى إحدى الطوائف البوذية فأمر بإقامة سجال فكرى بين الطائفتين الســابق ذكرهما فانهزمت ديانة نيتشيرن شو. فقام بمعاقبة رهبانها وقمعهم، وكان هذا بالطبع فى صالح اليســـوعيين حيث تخفف الضغط عليهم، وزاد نشاطهم التبشيرى ونشطت التجارة مع الأوربيين.

* * *